

ردمك (النشر الإلكتروني): 1658-7472 المجلد: التاسع العدد: السادس والثلاثون ديسمبر 2023

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة











مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

ردمك (النشر الإلكتروني): 1658-7472 المجلد التاسع العدد: 36 ديسمبر 2023



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الباحة
وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية
تصدر عن جامعة الباحة
مجلة دورية ـــ علمية ـــ محكمة

الرؤيـــة: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية، وخدمة البحث العلمي الأصيل وطنياً وعالمياً، وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

ردمك النشر الإلكتروني: 7472ـــ 1658

ص ب: 1988
هاتف: 00966 17 7274111/ 00966
17: 7250341
تحويلة: 1314
البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa
الموقع: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

المحتويات

عنوان البحث

قصة نبي الله لوط–عليه السلام– في سورتي هود والعنكبوت: دراسة في السياق والنظم

د.منصور بن عبد العزيز المهوس

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة المجمعة

m.almohews@mu.edu.sa

Received: 19/1/2023 **Accepted**: 28/10/2023 **Published: Vol. 9 Issue 36**

الملخص:

تتناول هذ الدراسة طريقة عرض خطاب قصة لوط –عليه السلام– في سورتي هود والعنكبوت، وما فيه من تنوع في السياق والنظم. وقد جاءت الدراسة في مبحثين: الأول، السياق بنوعيه، العام والخاص. والمبحث الثاني، النظم، مع التركيز على مظاهر الاختلاف في أسلوب عرض القصة في السورتين. وبهذين المبحثين استبان أنّ القصة في السورتين تملك مخزونًا دلاليًا لا ينفد، وتمتاز بتنوع خاص بها، يمنحها تميّزًا عن ما سواها من أخواتها في القصص القرآنيّة.

الكلمات المفتاحية: القصة، القصة القرآنية، قصة لوط–عليه السلام–، السياق، بلاغة النظم القرآني.

Title of paper

The story of the Prophet of Allah Lot, peace be upon him, in Chapters of Hud and Al-'Ankabut: A Study in Context and Compose

Dr. Mansour Abdulaziz Almehawes

Department- Arabic Language College-Education - University Majmaah

Abstract:

This study deals with the method of presenting the discourse of Lot's story, peace be upon him, in the two chapters of Hud and Al-'Ankabut, and its diversity in context and compose. The study came in two sections: the first one deals with the two types of context, general and specific. The second section deals with compose, with a focus on the differences in the way the story is presented in the two chapters. In these two sections, it was established that the story in the two chapters possesses an inexhaustible semantic stock, and is characterized by its own diversity, which gives it distinction from other stories in the Qur’an.

Keywords: Story, Qur'anic story, Story of Lot, peace be upon him, Context, Rhetoric of Qur'anic compose.

مقدمة:

من القيم الجمالية للقرآن الكريم قصصه التي صيغت بإتقان وإحكام بالغين، فجاءت علامة من علامات إعجازه في أساليب عرضه للقصص؛ إذ تحمل قيمًا سامقة مكتملة البيان؛ لأنّ منشئها ومبدعها هو الحق –سبحانه وتعالى–. ومن ذلك قصة نبي الله لوط عليه السلام.

أهداف الدراسة: حاولت هذه الدراسة الوقوف على تنوع السياق والنظم في قصة نبي الله لوط –عليه السلام– في سورتي هود والعنكبوت، وكذلك رصد أهم هذا التنوع ودلالاته.

مشكلة الدراسة: ترتكز مشكلة البحث على تنوع سياقات قصة نبي الله لوط–عليه السلام– واختلاف نظمها في سورتي هود والعنكبوت، للوصول إلى أثر السياق والنظم في بيان خصوصية قصة نبي الله لوط –عليه السلام–عن سائر قصص الأنبياء –عليهم السلام– وذلك لأن سورة هود تمثل نوعًا من أنواع عرض هذه القصة في القرآن، وهو مواجهة لوط–عليه السلام– لقومه ومحاججتهم في ضيفه، وتختلف عن غيرها بتفصيل العذاب الذي نزل بقومه، أما سورة العنكبوت فهي الوحيدة التي ذُكرت فيها دعوة لوط–عليه السلام– لقومه للتوحيد، وأيضًا هي الوحيدة التي فيها تفصيل لأعمال قومه القبيحة؛ مما توافرت في السورتين عناصر الاختلاف في السياق والنظم. (العبارة تحتاج تحرير وإصلاح)

حدود الدراسة: هو قصة نبي الله لوط–عليه السلام– في سورتي هود والعنكبوت، في جزيئة التنوع في السياق والنظم.

منهج الدراسة: استفادت الدراسة من المنهج الموضوعاتي الأسلوبي في توصيف مفاصل هذه الدراسة وتحليلها.

الدراسات السابقة: لم يتوصل الباحث إلى من درس قصة نبي الله لوط–عليه السلام– في هاتين السورتين في قضية السياق والنظم خصوصًا.

إجراءات الدراسة: سلك الباحث المنهج الموضوعاتي الأسلوبي في توصيف دراسة السياق والنظم وتحليلها، متخذًا عينة الدراسة لهذه القصة من سورتي هود العنكبوت.

خطة الدراسة: تكونت الدراسة مما يلي:

مقدمة، وضمنتها: أهداف الدراسة، حدود الدراسة، منهج الدراسة، الدراسات السابقة إجراءات الدراسة.

تمهيد: وتناول خصائص القصة القرآنية، وقصة نبي الله لوط في القرآن عمومًا وفي تداخلها مع قصة نبي الله إبراهيم خصوصًا، ثم نص القصة في السورتين.

المبحث الأول: السياق بنوعيه، العام والخاص.

والمبحث الثاني: النظم، مع التركيز على مظاهر الاختلاف في القصة في السورتين،

خاتمة ترصد أهم النتائج، ثم ثبت أهم المصادر والمراجع.

التمهيد:

أولًا: من خصائص القصّة القرآنيّة.

لها خصائص ذاتية وفنية:

الذاتية: أنّها قصة هادفة، ذات أهداف دينية وأخلاقية، تتساوق وأهداف العقيدة والتشريع، وتخاطب العقل والوجدان. كما أنّ مصدر القصة ومنشؤها هو الحق ﷻ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾[1] لذلك فإنّ مصادر القصة القرآنية لا زيف فيها ولا ريب، وأحداثها مستلّة من الواقع والتاريخ لا الخيال والابتداع. كما أنّها ليست عَرْضًا خالصًا لأحداث التاريخ، وليس هذا العرض لمجرد التسلية والمتعة، وإنّما هي عملية انتقاء لأحداث معينة تخدم الهدف العام للقصص القرآني، وهو الاعتبار والاتعاظ، والاقتداء بأهل النجاة، والابتعاد عن مسلك أهل الهلاك[2].

الفنية: فيها تنوع في أسلوب العرض طولًا وقصرًا، وأحداثها متصلة حينًا ومنفصلة حينًا آخر، وتارة مضمنة مع قصة أخرى، في صياغة مبدعة؛ تبعًا لغرض القصة، في مخالفة للسرد التاريخي الصارم؛ لذا فإنّ الغاية ليست الوقائع بذاتها، وليس في تقاطعها مع مدونات تاريخية أخرى، وإنّما في طريقة عرضها التي تكشف عن جوانب الإعجاز اللغوي والخطابي. وهنا تبرز خصيصة أخرى وهي براعة التصوير للأحداث ولشخصياتها ولزمانها ومكانها، وما يتبع ذلك من إبداع في وسائل ربط الأحداث فيما بينها، خصوصًا إذا كانت القصة موزعة على غير سورة[3].

ثانيًا: قصة لوط -عليه السلام- من القصص القرآنية القصيرة نسبيًا إذا قُرنت بقصة يوسف أو موسى -عليهما السلام-. فقصة لوط -عليه السلام- لا تتعرض إلا لموضوع الرسالة وحواره مع قومه، وتكذيب قومه له، وبيان عاقبة تكذيبهم فحسب، كما هي في قصص أنبياء الله هود وصالح وشعيب -عليهم السلام-.

وقصة لوط -عليه السلام- متنوعة المواقف السردية، وما يتبع ذلك من تنوع في السياق والنظم، وفيها عظيم العبر والدروس التي تثير في نفس المتلقي انفعالات تترى، تملك عليه أقطار قلبه.

وقد أتت قصة لوط-عليه السلام- متداخلة مع قصة إبراهيم-عليه السلام- في أربع سور من القرآن[4].

ثالثاً: نصّا الدراسة.

أ- سورة هود:

(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيب ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُود ٧٦ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيب ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُل رَّشِيد ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡن شَدِيد ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡع مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيب ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَة مِّن سِجِّيل مَّنضُود ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيد ٨٣).

ب- سورة العنكبوت:

(وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَد مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَة لِّقَوۡم يَعۡقِلُونَ ٣٥).

المبحث الأول: السياق.

جاءت مادة (س وق) في المعاجم العربية بمعانٍ، من أشهرها، بمعنى التتابع والاتساق:

"ساق: سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق"(5). "وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة"(6).

" ومن المجاز... هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده"(7).

فالمعنى اللغوي للسياق تطور من الأصل الحسي إلى الفرع المعنوي، فاستقرت الدلالة المجازية على تتابع الحديث في أحسن سياق. وهو من الناحية الاصطلاحية "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل

فيه"[8]. وقد وجه الزركشي عناية المفسر إلى إدراك أهمية السياق فقال: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له"[9]. فالعوامل المحيطة بالسورة من أسباب النزول ومكانه ومناسبته تمكّن الدارس من الوقوف من النص على ما لا يمكن الوقوف عليه بدون ملاحظة أنواع السياق، كما تسهم الدلالات السياقية للآيات الخاصة بالنص المدروس في تناسق الخاص مع العام لتكتمل الدلالة ويستقر المعنى. يقول البقاعي: "إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقت لها السورة"[10].

ولهذا فالسياق قسمان: السياق العام (الخارجي)، والسياق الخاص (الداخلي).

القسم الأول: السياق العام (الخارجي).

للسياق العام أثر فاعل في الكشف عن ما يحيط بسورتي هود والعنكبوت، ويتجلى ذلك في مكان نزول السورتين، ومقاصد هذا النزول؛ مما يساعد في إظهار جوانب مهمة في قصة لوط – عليه السلام –في هاتين السورتين.

1- نزول سورتي هود والعنكبوت وموقع قصة لوط فيهما، ومكان النزول.

سورة هود ترتيبها العام نزولًا (الحادية عشرة)، أما ما يخص قصة لوط–عليه السلام– في هذه السورة فهي السورة الثانية ذكرًا لها في القرآن، وهي أول سورة تأتي قصة لوط–عليه السلام– متداخلة مع قصة إبراهيم عليه السلام.

أما سورة العنكبوت فترتيبها العام نزولًا (التاسعة والعشرون)، أما بشأن قصة لوط–عليه السلام– فهي السورة السابعة ذكرًا لها في القرآن.

أما مكان نزول سورتي هود والعنكبوت فتتفق السورتان في مكان نزولهما؛ فهما مكيتان:

– سورة هود: نقل الألوسي رأي الجمهور بأنها كلها مكية. واختاره السيوطي[11]، ويستثني الرازي الآيات: ١٢ و١٧ و١١٤ فهي مدنية[12].

– سورة العنكبوت: مكية. واختاره السيوطي[13]. ويستثني الزمخشري من 1-11 فهي مدنية[14]. ووافقه كثير من المفسرين الذين أتوا بعده، من أمثال: ابن عطية[15]، الألوسي[16].

فمكان نزولهما هو (مكة) ولذا تظهر فيهما بعض ضوابط السور المكية، كما تظهر فيهما المميزات الموضوعية والأسلوبية للسور المكية. فمن الضوابط المتوفرة فيهما: أن فيهما قصص الأنبياء والأمم الغابرة، وأنهما افتتحتا بالحروف المقطعة؛ سورة هود (الٓر) وسورة العنكبوت بـ(الٓمٓ).

أما المميزات الموضوعية والأسلوبية فمنها: الدعوة إلى التوحيد، وإثبات الرسالة، والحديث عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، ومحاججة المشركين، وذكر قصص الأنبياء وأحوال الأمم السابقة؛ عظة وعبرة للكافرين، وتسلية للرسول–ﷺ– ولصحابته وللمؤمنين، مع قوة الألفاظ وشدة قرعها مع إيجاز في الكلم.

فذِكْر قصص الأنبياء وأحوال الأمم السابقة والغاية من ذكر تلك القصص مع قوة الألفاظ وشدة قرعها مع إيجاز في الكلم، ذلك كله من السياق العام لهاتين السورتين، ومن القصص قصة لوط–عليه السلام– وتداخلها مع قصة إبراهيم عليه السلام.

2- مقصد السورتين.

- سورة هود.

من أهم مقاصدها تثبيت فؤاد النبي- ﷺ- وتسريته وأمره بالتوكل على الله في كل حال وطمأنته بأن العاقبة للمؤمنين، وفي ذلك ما فيه من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة في قولهم في السورة نفسها: (أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ) على أن ذلك ليس عزيزًا عليه، وقد أكثر من فعله جل جلاله، ولكن نزولهم مرهب، وأمرهم عند المكاشفة مرعب، وهذا ما حدث في قصة لوط-عليه السلام- في قدوم الملائكة عليه. وكذلك التفصيل في حالتي البشارة والنذارة وما فيها من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ومن ذلك قصة لوط مع قومه[17]. ولهذه المناسبة وردت قصة لوط -عليه السلام- مُركزًا فيها على حلقة رسل العذاب.

- سورة العنكبوت.

ومن مقاصدها "توبيخ أهل الدعوى، وترغيب أهل التقوى، والحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله وحده من غير فترة، والتأكيد على قوة المؤمنين وضعف الكافرين الذين يستعجلون العذاب دومًا"[18].

وقد وردت قصته -عليه السلام- فيها في سياق التأسي بصبر الأنبياء -عليهم السلام- على مكابدتهم من قومهم وسياق المؤاخذة على الذنب، وفي الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولعل في ذلك سر ذكر جميع سيئات قوم لوط إلى جانب فاحشتهم النكراء في هذه السورة، وقيامه بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن تلك المنكرات[19].

القسم الثاني: السياق الخاص.

نبي الله لوط -عليه السلام- مقرب من إبراهيم -عليه السلام- وهو ابن أخيه، وأول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه[20]. وقد ذُكرت قصة لوط -عليه السلام- في القرآن ثماني عشرة مرة.

كما ذُكرت قصته في القرآن في أربع سور[21] مع قصة إبراهيم في سياق مجيء الملائكة لإبراهيم بالبشرى ثم ذهابهم إليه وقومه. ولكل قصة في السورتين سياقها الخاص بها.

- سورة هود.

أتت قصة لوط -عليه السلام- في ردف قصة إبراهيم -عليه السلام-، وكان لهذا الإرداف غاية في المناسبة؛ فإنه "لما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام؛ إذ كانت أشهر الوقائع بعدها وهي أفظع منها وأروع، وقدم عليها ما يتعلّق بها من أمر إبراهيم عليه السّلام"[22].

وسوق هذه القصة بعد قصة إبراهيم -عليه السلام- كان للموعظة بمصير قوم لوط؛ إذ عصوا رسول ربهم فنزل بهم العذاب، وأنه لم تغن عنهم مجادلة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

- سورة العنكبوت.

أتت قصة لوط -عليه السلام- امتدادًا لسياق الابتلاء الذي أصاب الأنبياء، بدءًا من نوح وهود وصالح وشعيب -عليهم السلام-. ولما كان -كما مضى- السياق للابتلاءِ، خص بالبسْط في القص من لم يكنْ له ناصر من قومه، أو كان غريبًا منها، ولذلك أتبع الخليل -عليه السلام-ابن أخيه الذي أرسله الله إلى أهْلِ سدوم(23). وفي هذه السورة جاء الانتقال من رسالة إبراهيم -عليه السلام-إلى قومه إلى رسالة لوط-عليه السلام- لمناسبة أنه شابه إبراهيم في أنْ أنجاه الله من عذاب الرجز(24)؛ لذا فإن الواو في (ولُوطًا) عاطفة، عطف على قصة إبراهيم -عليه السلام-، فهي من إلحاق النظير بالنظير. كما أن فيه صلة معنوية بين قصة إبراهيم-عليه السلام- وقصة لوط -عليه السلام-؛ إذ في قصة لوط -في سورة هود- لم يدع قومه لعبادة الله وتوحيده، وإنما أمرهم بترك الفاحشة، وذلك للاكتفاء بدعوة إبراهيم-عليه السلام- لقومه، فكانت الدعوة إلى الله كالمختص به، كما كان منع الفاحشة مختصًا بدعوة لوط -عليه السلام-، فذكر كل واحد بما اختص به في تكامل بديع. وللسياق الخاص تناسق بديع بين الآيات، وهو من أهم وسائل فهم المراد من السياق، ويكون ذلك بعدد من الطرائق، منها ما نص عليه الشاطبي في الموافقات فقال: " لا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلَّف، فإنْ فرّق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض "(25).

وقد أتت قصة لوط -عليه السلام- مضمّنة في قصة إبراهيم-عليه السلام- على هيئة إشارات منبثقة من القصة الأم، ثم تنتهي القصة الأم وتستمر قصة لوط -عليه السلام-. فقصة إبراهيم-عليه السلام- تحولت إلى قصة إشارية لقصة لوط -عليه السلام- في هاتين السورتين. ثم تحولت قصة لوط -عليه السلام- إلى شبه فرع قصصي، سريعًا ما تحولت إلى أصل بذاتها، ووحدة نصية مركبة من مجموعة أحداث مستقلة عن الأم؛ وذلك تبعًا للسياق ولمغزى السورة ولموطن العبرة منها. ولهذا التناسق الداخلي بين مفاصل القصة في السورتين عدد من المظاهر، من ذلك:

- الزمن القصصي، ويظهر ذلك في خلال إشارات لطيفة لها أثر في فهم السياق من سابق أو لاحق تشير إلى ما سيقع في الزمن القادم للقصة، مولدًا في القصة حالة من الترقب والترصد لما سيأتي.

ومن أبرز مظاهره في سورة هود:

- (قالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوط) في خطاب الملائكة لإبراهيم -عليه السلام- يقوم بمهمة التشويق، وينال عناية المخاطَب -ﷺ- ومن ورائه من الصحابة -رضي الله عنهم- ومن بعدهم. إشارة زمنية لاحقة تعلن لأول مرة عن لوط -عليه السلام-، كما يعلن عن مقصدية القصة ومغزاها؛ إذ يكشف عن رحمة الله وعنايته بلوط عليه السلام.

- (وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُود) وأتت هذه الإشارة الزمنية المستقبلية في حوار الملائكة مع إبراهيم-عليه السلام-، فالملائكة تشير إلى قصة لوط -عليه السلام-. وهي إشارة تقوم بمهمة استمالة المخاطَب، وهو النبي ﷺ ومن يقرأ هذه القصة أو يسمعها.

– (لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُم) وهي إشارة زمنية في نطاق قصة لوط –عليه السلام– في محاورته للملائكة.

ب: في سورة العنكبوت.

– (قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) إشارة زمنية تنسيقية ضمن سياق قصة لوط –عليه السلام–. وهي إشارة فيه تطلّع واستشراف للآتي من زمن القصة.

– (قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ) فهذا إخبار من الملائكة عن ما سيقع في المستقبل، وفي هذا تعليل لاستباق الملائكة لعذاب قوم لوط –عليه السلام– وإشارات مرعبة إلى ما سيقع في قادم سرد القصّة، منتجًا في القصة حالة من الترقب والترصد لما سيحل بقوم لوط عليه السلام.

– (نُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ (إِنَّا مُنَجُّوكَ) إشارة زمنية استباقية، وذلك في سياق مجادلة إبراهيم–عليه السلام– للملائكة عن لوط عليه السلام.

ولهذه الإشارات الزمنية فائدة تنسيقية؛ وهي تنظيم زمن القصة في مستقبل الأحداث.

ومن عناصر التناسق الداخلي للسياق: الشخصيات، وهما شخصيتان:

الأولى، شخصية الملائكة: كانت حاضرة في القصة في السورتين، وبهم كان الانتقال من قصة إبراهيم إلى قصة لوط –عليه السلام–. فالعلاقة بين القصتين علاقة متصلة من خلال شخصية الملائكة؛ فقد أسهمت في توثيق الارتباط بين القصتين؛ فقصة إبراهيم–عليه السلام– أتت مقدمة موضوعية بين يدي قصة لوط –عليه السلام –. وقد اتفقت القصة في السورتين على علامة الحضور للملائكة بلفظ (رسلنا) وهي إضافة تشريف للملائكة وزيادة تطمين للوط –عليه السلام–. فشخصية الملائكة من الشخصيات المتكررة في القصتين؛ لأنها شخصية ذات وظيفة تنظيمية ووجدانية؛ كما أنّها متطورة مع تطور السياق الداخلي، بل يتطور بها، وتنشأ العقدة، ومن خلالها تنجلي الأزمة.

الشخصية الثانية، شخصية لوط –عليه السلام– وقد ذُكرت مبكرًا في قصة إبراهيم–عليه السلام– في سورة العنكبوت: (فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوط). وقد تضمن لفظ (آمن) معنى انقاد، ولذلك تعدّى باللام، ولم يتعد بـــ(مع) [26]؛ إشارةً إلى انقياد لوط عليه السلامله. فكان ظهورها مبكرًا من ناحية الزمن القصصي، بينما لم يشر إلى ذلك في سورة هود. وبشخصيته–عليه السلام– حدثت براعة التخلص وروعته وحسنه من القصة الأولى إلى الثانية في السورتين [27] ؛ إذ حدث حسن التخلص وبراعته من خلال حسن التوطئة له؛ ففي سورة هود تجلى حسن التخلص عندما أبان السياق عن موقف إبراهيم عليه السلاممما عزمت عليه الملائكة، قال الحق تعالى: (وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطا) فوطّأ بهذه الجملة للانتقال إلى ذكر القصة الثانية.

وفي سورة العنكبوت كان حسن التخلص عندما أشار السياق إلى إيمان لوط -عليه السلام- مع إبراهيم-عليه السلام- وذِكْر ما أنعم الله به عليه، بعد ذلك انتقل السياق إلى قصة لوطٍ: (وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ) ويتفرع عن ذلك محسن بديعي آخر رائق، وهو إلحاق النظير بالنظير؛ قصة بقصة.

وفي المجمل فإنّ شخصية لوط -عليه السلام- أسّ القصة وكنهها وجسمها والمحركة لأحداثها، ومن خلالها تتجسّد العبرة والغاية.

ومن مظاهر التناسق الداخلي توظيف أداة الربط (لـمّـا) وقد وظفتها القصتين ببراعة؛ في هود ثلاث مرات، وفي العنكبوت مرتين، وكذلك دخول حرفا العطف (الواو والفاء) على (لـمّا).

فهي أداة تناسق وحلقة وصل متتابعة بين مفاصل القصتين؛ ذلك أنها أداة شرط تحتاج إلى فعل شرط وجوابه؛ "لأنّ (لمّا) تدل على شدّة الارتباط بين شرطها وجوابها، فلذلك يكثر أنْ يكون علة في حصول جوابها"[28]. فهي حلقة وصل واتصال بين منعطفات السياق القرآني.

أما دخول حرفا العطف (الواو والفاء) على (لـمّا) ففي سورة هود دخلت الفاء على (لمّا) ثلاث مرات: الأولى: (فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ)وهي للتعقيب والترتيب؛ تمهيدًا لمفاجأة إبراهيم-عليه السلام- بانجلاء ريبته وتوجسه بقول الملائكة: (قالُواْ لَا تَخَفۡ). و"لما" هنا ظرف للماضي مع الشرط. ولذا يرى الزمخشري أنّ فيها معنى التوقع والانتظار[29].

الثانية: بعد انعطاف السياق لذكر خبر زوج إبراهيم-عليه السلام- والولد يعود الخطاب إلى قصة لوط -عليه السلام- بالأداة نفسها (لما) وبالفاء معها (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ).

الثالثة: بعد تحديد موعد إهلاك قوم لوط -عليه السلام- (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا)؛ لذا ناسب دخولها عليها لتدل على السرعة والتعقيب، والسببية كذلك.

وفي سورة العنكبوت، كان دخول حرف العطف (الواو) على (لـمّا) في موضع واحد، وذلك بعد الإشارة إلى تصديق لوط -عليه السلام- بدعوة إبراهيم-عليه السلام- وإدراجه في قصته يعود الخطاب إلى بداية دعوة لوط -عليه السلام- لقومه، فالقصة هنا معطوفة على قصة إبراهيم-عليه السلام- ثم يرجع السياق إلى القصة الأم قصة إبراهيم-عليه السلام- في مشهد جداله للملائكة بشأن قوم لوط -عليه السلام- (وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ) فهذه الآية جاءت معطوفة على قوله: (قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ) استجابة لدعاء لوط -عليه السلام- بطلب النصرة. وهذا نجده في سورة العنكبوت فحسب. ولما لم يبق بعد هذا إلا خبر الرسل مع لوط -عليه السلام- قال عاطفًا على ما تقديره: ثم فارقوه ومضوا إلى المدينة التي فيها لوط عليه السلام. ويُفهم من العدول عن الفاء إلى الواو في قوله: (ولما) أن بين المكانين بعدًا. وأكثر سياقاتها بين التسليك في مقام الامتحان والاجتهاد في النهي عن المنكر[30].

كما أن حرف العطف (الواو) قام بأثر فاعل في تناسق السياق القصصي الداخلي؛ ففي قوله: (وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ) في نهاية القصة فيه عطف على بداية القصة: (وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ) وهو من عطف العجز على الصدر، أو النهاية على البداية؛ "لأن قصة لوط -عليه السلام- آية بما تضمنته من الخبر، وآثار قرية قومه آية أخرى بما يمكن مشاهدته لأهل البصر"[31] فكان اتفاق الجملتين في كونها خبريتين أدعى لوصلهما.

المبحث الثاني: النظم.

جاء في اللسان "النظم التأليف، نظمه ينظمه نظمًا ونظامًا، ونظمه فانتظم، وتنظم ونظمت اللؤلؤ؛ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه: نظمت الشعر ونظمته"[32]

فدلالة النظم تحولت من المادي – نظم اللؤلؤ- إلى المعنوي نظم الكلام والشعر. وإطلاق النظم على القرآن دلالةً على انسجام حروفه وكلماته وسوره داخل في باب المجاز. ونظم القرآن أعلى المراتب؛ ذلك أن "عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا تفاوت ولا تباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها"[33]

وبين السياق والنظم علاقة تكامل وانسجام، ولا يستغني أحدهما عن الآخر في بيان الدلالة المتوخاة. وبين المصطلحين فرق؛ فالسياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها؛ أي: السياق علاقة المعنى بالمعنى، والنظم علاقة اللفظ بالمعنى. "فالنظم مختص بإيضاح الوجوه البيانية، ومدى تناسب المعاني مع ألفاظها، إذ لا يتضح المعنى ويبين وجهه حتى يتم استجلاء السياق من حيث دلالته المعنوية بسباقه ولحاقه"[34] فالسياق بهذا المفهوم خادم للنظم. وهذا التكامل بين السياق – لا سيما السياق الخاص – والنظم سيتضح من خلال استجلاء مظاهر الاختلاف في نظم القصة في السورتين.

ولنظم قصة هود في السورتين توافق واختلاف، وسيركز هذا المبحث على مظاهر الاختلاف؛ ففيها تتجلى جمالية النظم وتكامله والتئامه. ومظاهر الاختلاف هي من المتشابه اللفظي، الذي يعرفه الزركشي بقوله "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك"[35]؛ ولذا نرى أن القصة الواحدة "كيف تأتي في صور مختلفة وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لا تكاد تشتبه في موضوعين منه، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرًا"[36].

وقد استعنت في هذا المبحث بأشهر التفاسير التي تعتني بالبلاغة القرآنية وتأويلها، كما سجلت بعضًا مما توصلت إليه بعد التأمل والترجيح بين أقوال أئمة التفسير -رحمهم الله-. والله الموفق والمسدد.

أولًا: الاختلاف في مجادلة إبراهيم-عليه السلام- للملائكة بشأن لوط عليه السلام.

ففي سورة هود ذكرت الملائكة علة نزولهم ضيوفًا عليه؛ أنهم أرسلوا إلى قوم لوط -عليه السلام- ثم ينتقل الخطاب إلى مشهد رصد وقع البشرى على إبراهيم-عليه السلام- وعلى زوجه، وحواره لهم بشأنها، بعدها التفت الخطاب إلى رجوع إبراهيم-عليه السلام- إلى الغرض الأساس من قدومهم، وهو ذهابهم إلى قوم لوط -عليه السلام- فأخذ يجادلهم

ويحاججهم فيهم: (يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ)؛ أي: يجادل رسلنا في حالهم وشأنهم. فهو مجاز عقلي حدث عن طريق الإسناد(37). وأوقع المضارعَ " يجادِلُنا " موقعَ الماضي لاستحضارها(38). وقيل في معنى (يجادلنا)؛ أي: يجادلهم طالبًا المهلة لهم لعلهم يرجعون؛ بسبب أن إبراهيم-عليه السلام- كان يقول: إن أمر الله ورد بإيصال العذاب، ومطلق الأمر لا يوجب الفور بل يقبل التراخي فاصبروا مدة أخرى؛ لأنه أواه منيب-عليه السلام- (39). وقيل: إنما كانت المجادلة في قوم لوط بسبب مقام لوط -عليه السلام- فيما بينهم؛ لأن تقديرها: كيف تهلك قرية فيها من هو مؤمن غير مستحق للعذاب؟(40). وهذا الأقرب؛ لأن في سورة العنكبوت جاء السياق ببيان هذه المجادلة أو بأهم جزء فيها: (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً) مع تغيير في الكلام المقدر؛ فقد فُصلت هذه الجملة عن ما قبلها لشبه كمال الاتصال؛ لأنها جواب عن سؤال مقدر تقديره: فماذا قال إبراهيم؟؛ ولذا أجابوه بقولهم: (قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ) وهذا القدر من القول هو المتيقن (41).

أما جداله معهم في سورة العنكبوت فكانت بدايته بعد أن كشفت الملائكة عن شخصياتهم، وبعد أن بشروه بالولد، فكان الدخول سريعًا في قصة لوط-عليه السلام-، وهذا تبعًا لسياق السورة وموضوعها.

وبهذا -ومع هذا الاختلاف في النظم بين القصتين- يكون سياق سورة العنكبوت متممًا ومفسرًا لما في سورة هود في جزئية مؤثرة في القصة.

ثانيًا: الاختلاف فيما بعد (لـمّا):

في سورة هود لم تأت (أنْ) بعدها بخلاف العنكبوت، وذلك راجع إلى اختلاف سياق القصة في السورتين؛ ففي العنكبوت جاءت طمأنة الملائكة له بعد المساءة مباشرة: (وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَن) بعد جواب (لما): (سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعاًۖ) ولم يفصل بنيهما بحدث أو كلام، ثم أبان عن عاقبتهم بقوله: (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزا).

بينما في هود فقد تأخرت طمأنة الملائكة للوط -عليه السلام- إذ انتظم كلام على كلام؛ وهو كلامه، ثم حواره مع قومه، ثم جاءته طمأنتهم: (قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ) لذا يقول الكرماني "فلما طال الكلام لم يحسن دخول (أنْ). وطول الكلام هذا قرينة على أن الجواب لم يقع في الحال، بدليل قوله في سورة هود: (إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ)، أما في سورة العنكبوت فإن فيها قوله ــ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزا ((42).

وقد استفاد الكرماني هذه التوجيه من الإسكافي(43)، ومثله قال به الرازي(44).

ونستشف من ذلك بُعدًا معنويًا لمجيئها في سورة العنكبوت، وهو خاص بالجانب النفسي للوط -عليه السلام- فقد استبطأ لوط -عليه السلام- نصر الله له، واستطال انتظاره لفتح الله بينه وبين قومه بعد تكذيبهم وطلبهم تقديم العذاب؛ لذا أتى الوعد بالنصر والتنجية بعد وصف حال لوط -عليه السلام- (سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعاًۖ) وقد سبق وعدَ الملائكة للوط -عليه السلام- بالتنجية نهيُه عن أن يخاف أو يحزن، وفي ذلك مقدمة وتأكيد للتنجية التي تكررت مرتين؛ في خطاب الملائكة لإبراهيم-عليه السلام- ثم في خطابهم للوط -عليه السلام-؛ ولذا يرى الزمخشري أن

مجيء (أنْ) بعد (لـمّـا) أنها للتأكيد[45]. وهذا أظهر من سورة هود؛ فإن في هود لم يدع قومه، ولم يصرحوا برفض دعوته، وإنما صرحوا برفضهم طلبه بأن يتركوه وضيفه، وأن يتزوجوا النساء من قومه. وقد ترد (أنْ) بعد (لمّا) لغرض التفصيل والتفسير تبعًا للمقام والسياق، كما في سورة هود؛ فمقام الآيات التي وردت في سورة هود مقام إجمال فناسب الاختصار حذف (أنْ) في قوله: (وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطا). أما مقام الآيات الواردة في سورة العنكبوت فمقام إطالة وتفصيل؛ إذ كانت الإشارة لمكابدة لوط -عليه السلام- لقومه في دعوتهم، وطلبهم إنزال عذاب الله بهم إن كان من الصادقين؛ تهكمًا وسخرية منه. كذلك -في السورة- الإفاضة والتوسع في ذكر صفات قوم لوط -عليه السلام- وأعمالهم القبيحة ما لم تُذكر في هود، كذلك تكرر التنجية تأكيدًا لوعد تنجيته فناسب زيادة (أنْ). فكان كلٌ منسجمًا مع السياق العام للآيات التي وردت فيه[46].

ثالثًا: اختلاف النظم في مجيء القوم:

في سورة هود ذكرت الآيات مَنْ قام بالمجيء وهم قومه، ومحاجة لوط -عليه السلام- لهم. وهذا لم يُذكر في العنكبوت التي ركزت على تفاصيل دعوة لوط -عليه السلام- لقومه والأفعال المقيتة التي كانوا يفعلونها.

وفي هذا المجيء -الذي ورد في سورة هود- عدد من الوقفات:

-وصف ذلك المجيء فقال: (وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ) الذي يفيد الشمول لجميع فئات المجتمع، وأتبعها بصفة مشتركة بين هذه الفئات، وهي (عمل السيئات).

- عبّر عن هذا المجيء بالماضي؛ ليؤكد حدوث مجيء القوم إلى بيت لوط -عليه السلام- وتحقق وقوعه.

- عبّر عن الظاهر بالمضمر في قوله تعالى: (جاءه)، وفي ذلك ربط نصي عن طريق الإحالة إلى ظاهر سابق، وفي ذلك إيجاز بالحذف.

- ثم قدّم المفعول (جاءه) على فاعله (قومه) لزيادة عناية بالمقدم، وهو لوط -عليه السلام- وتأكيد لمقصد السورة أن المراد هو بيان حال لوط -عليه السلام- مع قومه أولًا، ثم بيان مصير قومه.

-ثم أضمر الظاهر (قومه) أيضا للإيجاز ولتعميق الترابط النصي.

-تجسيد مشهد طريقة مجيء قومه بقوله: (يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ) والإهراع هو الإسراع مع الرعدة[47]. وهو يشف أنه نشأ من خبر مفاجئ لهم، وهو الواقع؛ إذ أتتهم امرأة لوط -عليه السلام- وأخبرتهم بالضيوف فانطلقوا على عجل. وهذه العجلة تبين اعتيادهم على الفعل القبيح؛ لذا فسر سرعتهم بقوله: (وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ). وعبّر عن (الإسراع) بالمضارع لتصويره، وكأنه يحدث آنفًا وهم يتدافعون جماعات وفرادى، وقد بُني للمجهول أو للفاعل الذي لم يسم فاعله للتركيز على الفعل، ولتجسيد حركتهم لحظة سماعهم خبر الضيوف.

رابعًا: اختلاف النظم في تصوير حوار لوط -عليه السلام- مع قومه.

في سورة هود كان الحوار في حضور الملائكة، وهو غير موجود في سورة العنكبوت. والحوار الذي كان في العنكبوت هو حواره مع قومه في أول دعوته لهم، فحدث التناوب بين السورتين، وبه اكتمل عمل لوط -

-عليه السلام- مع قومه. فالحوار في سورة هود يكشف جوانب مؤثرة من شخصية لوط -عليه السلام- وكذلك جوانب من شخصية قومه وكيفية تفكيرهم. ومجيء التفصيل في حواره معهم بشأن ضيوفه -في سورة هود- فيه عدد من الوقفات:

- جاء متساوقًا وخصائص سورة هود الموضوعية والأسلوبية:

فالموضوعية فقد اشتملت السورة على حوارات الأنبياء مع أقوامهم. ولذا نلحظ إضافة القوم إلى لوط-عليه السلام-، وهو ما كان مع معظم الأنبياء التي وردت قصصهم في هذه السورة.

أما الأسلوبية من خلال أسلوب الحوار، فقد جاء امتدادًا لخصائص السورة؛ إذ البدء بالنداء (يَٰقَوۡمِ) الذي يستميل المحاور إليه، ومنها إظهار العطف وصدق الرأي للمحاور، لذا ناداهم (يَٰقَوۡمِ) وفي ذلك استعطاف لهم وترقيق لنفوسهم؛ لأنه يعلم تصلبهم في فعلهم الفاحشة وعاداتهم الفظيعة[48]. وبعد هذا النداء أتت الغاية منه، وهي توجيههم للفعل الصواب المتوافق والفطرة السليمة (هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ)؛ أي: تزوجوا بهن، فهذا نداء الفطرة. والقول الراجح في المقصود ببناتي، هو أنه أراد بنات أمته، فهو من المجاز المرسل عن طريق الإضافة[49].

ولتأكيد رأيه لهم وتصويبه لديهم -بأن الزواج هو الرأي السديد- جاء الخطاب بأفعل التفضيل (أطهر) تلميحًا لهم على سوء فطرتهم؛ إذ ليس المقصود هو حقيقة المفاضلة بين فعلهم للفاحشة وبين الزواج الشرعي، فليس بينهما شيء مشترك في المفاضلة فيكون هذا أفضل من ذاك، ولكنه إشارة سريعة لتجافيهم عن العفة وتعريض بهم وتهكم خفي بهم، وأكد هذه الخاصية لهم بدخول اللام في (لكم) التي تفيد اختصاصهم بهذا الفعل، وأنهم مستحقون وحدهم هذا التهكم الخفي[50].

-والفاء في حواره لهم (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ) للترتيب والتعقيب، تؤكد أن الطهارة لن تكون إلا بالتقوى، ثم عطف الأمر بالتقوى؛ لأنها معينة على تركهم لخزيه لو كانوا يتقون. وفي تأويل قوله: (وَلَا تُخۡزُونِ) ثلاثة أوجه:

أ: لا تذلوني بعار الفضيحة، ويكون الخزي بمعنى الذل.

ب: لا تهلكوني بعواقب فسادكم، ويكون الخزي بمعنى الهلاك.

ج: أن معنى الخزي ها هنا الاستحياء، يقال خزي الرجل إذا استحى[51].

ومعنى الكلمة يحتمل هذه الأوجه الثلاثة، خصوصًا أنه ليس بينها تعارض، فتشمل (وَلَا تُخۡزُونِ) تلك الأوجه الثلاثة.

– وعبر بالفعل المضارع (وَلَا تُخۡزُونِ) ليؤكد لهم أنهم إن فعلوا ما هم عازمون عليه فستلحقه الفضيحة مر الدهر بأنه لم يستطع أن يدفع عن ضيفه العيب.

– و(في) في قوله: (في ضيفي) للظرفية، فهو مجاز؛ جعل الضيف كالظرف؛ أي: لا تجعلوني مخزيًا عند ضيفي عندما يلحقوهم أذى في ضيافتي[52].

– وعندما يأس منهم عاتبهم: (أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُل رَّشِيد) استفهام انكاري؛ أي: رجل ذو رشد وعقل يمنعكم من فعل هذا الفعل. وفي ذلك توبيخ عظيم لهم؛ إذ لم يكن منهم رجل رشيد البتة.

– وجاء سياق ردهم بفعل الماضي (قالوا) لتحقق رغبتهم في نيل مرادهم؛ لذا أتبعوه بمقول القول الذي ينم عن سفاهة لا تنتهي: (لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ) وأكدوا هذا الإصرار بـ(لام القسم وقد والفعل الماضي).

–ومن أجل الإسراع في إنهاء الحوار قدموا الخبر (في بناتك) لأنه محور المجادلة، وأخروا المبتدأ (من حق) لدلالة أخرى على عدم عنايتهم ورغبتهم فيما قدمه لهم لوط –عليه السلام– وأكدوا ذلك بتنكير (حق) المسبوق بالنفي، فيفيد مطلق الحق[53].

– وفي قوله: (وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ) إشارة إلى الأضياف. وفي هذا مبلغ الحقارة والسخرية بلوط –عليه السلام– فهو تلميح على عزمهم وعدم مبالاتهم وتبلد شعورهم[54].

– عند ذلك قال لوط–عليه السلام– (قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡن شَدِيد) قال ذلك على سبيل التفجع[55]. وجواب (لو) محذوف، وحذف مثل هذا أبلغ؛ لأنه يدع المستمع ينتهي إلى أبعد تخيلاته، والمعنى: لفعلت كذا وكذا. [56]. وفيه كناية عن إرادته –عليه السلام– قوة الأنصار والعشيرة؛ لأنه كان غريبًا بينهم؛ ولذا كانت الباء في (بكم) للاستعلاء؛ أي: عليكم.

– ومعنى (أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡن شَدِيد) من يستند إليه ويمتنع به من عشيرته، وفيه استعارة؛ إذ شبه الذي يُمتنع به بالركن من الجبل في شدته ومنعته.

أما في سورة العنكبوت ففيه التصريح بقيام لوط –عليه السلام– بدعوة قومه، فجاءت بداية قصته كغيرها من قصص الأنبياء في هذه السورة. وفي هذا الشأن لم يأت في قصة لوط –عليه السلام– أنه دعا قومه إلى عبادة الله، كما جاء في قصة إبراهيم–عليه السلام–؛ لأن لوطًا –عليه السلام– كان من قوم إبراهيم–عليه السلام– وفي زمانه، وسبقه إبراهيم–عليه السلام– إلى الدعوة لعبادة الله وتوحيده. فذكر لوط –عليه السلام– ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها [57].

أما في سورة هود فلم يسبق قصة لوط -عليه السلام- أن دعا إبراهيم-عليه السلام- قومه للوحدانية؛ لذا لم يذكر السياق دعوة لوط -عليه السلام- لقومه. وهذا متساوق وغرض السورة؛ إذ في هود كان التركيز على البشرى وموقف إبراهيم-عليه السلام- وزوجه منها كما مر سلفًا. بينما كان محور سورة العنكبوت يدور حول الإيمان وتثبيته وقت الابتلاء والشدائد والمحن، وهذا مناسب للوط -عليه السلام- إذ ذُكر في السورة مكابدته مرتين مع قومه، الأولى دعوته لهم بترك الفاحشة والمنكرات، وعنادهم وسخريتهم بطلب عذاب الله، الثانية، ابتلاؤه مع قومه بمحاولتهم ارتكاب ما نهاهم عنه في ضيفه وهم داخل بيته.

خامسًا: اختلاف النظم في طمأنة الملائكة للوط عليه السلام.

في سورة هود بدأوا بالكشف عن شخصيتهم: (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) المؤكد بـ (إنّ) التي دخلت على الجملة الاسمية؛ لبيان صدق قولهم، وثباتهم على ذلك، واستمرارهم في نصرته، وأنهم وإياه في مهمة واحدة؛ لذا قالوا: (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) فأضافوا الرب إليه -عليه السلام- [58]. وهذا الكشف متساوق وسياق أحداث قصة لوط -عليه السلام- في هذه السورة؛ فعندما أعلن -عليه السلام- أن يومه يوم عصيب، وهو حتى الآن لا يعلم حقيقة ضيوفه، مما زاد ذاك من خوفه، هنا ناسب أن يكشفوا عن شخصيتهم، فالسياق قائم على التفصيل والتشويق الموصول إلى ذروة الأحداث. ولتأكيد مكانتهم وتصديقًا لمهمتهم أكدوا نجاته بقولهم: (لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ) بدون وصل بين هذه الجملة والتي قبلها (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) لأنها في حالة كمال الاتصال وهي عطف بيان [59] . ثم بدأوا بالضمير (إنهم) نيابة عن الظاهر؛ احتقارا لهم، وأنهم لن يقدروا على ضره، ولن يصلوا إلى مرادهم. واستخدموا (لن) التي تفيد الاستحالة مهما حاولوا وجددوا محاولتهم، كما تحوي رغبة قومه في تجديد محاولتهم. ثم الإتيان بكاف الخطاب الذي يشير إليه -عليه السلام- وحده، لأنه نبيهم والمسؤول عنهم. ثم حُذف مرادهم من الوصول وهو الأذى؛ أي: (لن يصلوا إليك بأذى)، وقد حُذف للعلم به وللإيجاز.

أما في العنكبوت فالملائكة نهوه مباشرة من أن يخاف أو أن يحزن؛ لأن المقام في هذه السورة مقام ابتلاء وامتحان، لذا أجمل البشرى، وفصل النذرى[60]؛ إذ سياق القصة يشير إلى تأزم الموقف من قبل قدوم الملائكة عليه، من خلال دعوته -عليه السلام- لقومه ثم رفض قومه له، والسخرية منه بطلبهم قدوم عذاب الله إن كان من الصادقين، فما كان منه -عليه السلام- إلا أن طلب النصرة على قومه المفسدين، فاستجاب الله له بإرسال الملائكة، ولما رأت الملائكة قد استاء بسببهم وضاق بهم ذرعًا بادروا بالفرج والعون والركن الشديد. فقال جل جلاله: (

وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ).

فقال هنا: (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ) وفي حوار الملائكة مع إبراهيم–عليه السلام– في القصة نفسها في هذه السورة بشأن لوط –عليه السلام– قالوا له (لننجنه) بصيغة الفعل؛ لأن الملائكة وعدت إبراهيم–عليه السلام– بتنجية لوط –عليه السلام– ووعد الكريم حتم، فلما كان منهم سبق وعد قالوا (إنا منجوك)؛ أي: ذلك واقع منا ضرورة(61). فتسكين روعة لوط –عليه السلام– والتقدم إليه فيما يفعل جاء في سورة هود، أما في العنكبوت فقد أكدوا لهم بنجاته وأهله إلا امرأته، ثم التأكيد له بأنهم منزلون على أهل قريته العذاب، وذلك لسبق تفصيل الإنجاء؛ طريقة ووقتًا ومرافقة.

ولأن في هذه السورة قد فصّل في النذارة وأجمل البشرى فقد جاءت البشرى معرفة بـ(أل) كأنها معلومة للسامع، مع أنه لم يتقدم لها ذكر في هذه السورة، فتعين أن يكون التعريف في البشرى تعريف العهد كما هي عند علماء المعاني(62). وبُني فعل (سيء) لمن لم يسم فاعله؛ لأن المقصود حصول المفعول دون فاعله.

وعطف جملة: (وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ) عليه؛ لأنها من جملة ما وقع عقب مجيء الرسل إليه –عليه السلام– وقد طويت جمل دل عليها قوله: (وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ).

وقدّموا تأمينه – في العنكبوت– قبل إعلامه بأنهم منزلون العذاب على أهل القرية تعجيلاً بتطمينه.

وعطْفُ (ولا تحزن) على (ولا تخف) جمْعٌ بين تأمينه من ضرّ العذاب وبين إعلامه بأن الذين سيهلكون ليسوا أهلاً لأن يحزن عليهم، ومن أولئك امرأته؛ لأنه لا يحزن على من ليس بمؤمن به.

سادسًا: الاختلاف في نظم كشف حقيقة أمر الملائكة للوط عليه السلام.

في سورة هود وبعد رصد حالته –عليه السلام– النفسية انتقل الخطاب إلى مشهد بيان موقف قومه من ضيوفه، وهو ما يجذر حالته –عليه السلام– النفسية؛ إذ رصد السياق تحقق مخاوفه –عليه السلام– إذ جاءه قومه يهرعون إليه، ثم بيان بقية حواره معه، الذي به تأزم الموقف وبلغ ذروته، ثم بعد ذلك كشفت الملائكة عن شخصيتها.

أما في العنكبوت فحدث طي وحذف لهذه المواجهة، وذلك تبعًا لمقصد السورة؛ إذ مقصدها هو لوط –عليه السلام– نفسه؛ لذا نلحظ سرعة السياق في الوصول إلى تصوير حالته، ثم الكشف عن شخصية الملائكة ومخاطبتهم له: (وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ). فالسياق لم يتوقف عند حال قومه كما هو في هود، وإنما اكتفى ببيان مصيرهم؛ لذا نلحظ مجيء حرف الواو (وقالوا) الذي

يكشف هذا الطي والحذف، فكأن (الواو) حرف استئناف، وليس حرفًا بيانيًا قائمًا على الترتيب والتعقيب؛ لذا ناسب استخدام أسلوب النهي (لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ) في تخفيف ما يجده -عليه السلام- من الاستياء والحزن.

سابعًا: اختلاف النظم في الإشارة إلى عمل قوم لوط-عليه السلام-.

في سورة هود جاءت الإشارة إجمالًا، وعن طريق الخطاب الإخباري: (وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ). فقد اكتفى السياق برصد موقفه من قومه عند إسراعهم إليه من أجل ضيفه.

أما في العنكبوت ففيه تفصيل لأعمالهم القبيحة، وجاء عن طريق الخطاب المباشر من لوط -عليه السلام- لقومه، في مواجهة لا تقل عن مواجهتهم في سورة هود في حضور الملائكة.

وفي هذه المواجهة عدد من الوقفات:

-بدأ دعوته بالأسلوب المباشر من خلال الجملة الخبرية؛ الخطاب الانكاري التوبيخي (أَئِنَّكُمۡ) استفهام إنكاري، مؤكد بإنّ واللام المتعلقين بتوكيد الفعل المضارع، الذي يكشف إصراهم على فعل الفاحشة، وعدم تراجعهم عنها. يتبعه الإشارة إلى ما ينكره عليهم، ولم يصرح به؛ إذ كنى عن فعل الفاحشة بالإتيان.

-جاء لفظ (الفاحشة) بالتعريف للعهد الذهني، الذي يدل على التعيين لها، وأنهم يمارسونها ليل نهار، سرًا وجهارًا.

-في قوله: (وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ) كناية ومجاز؛ فالكناية، كناية عن قطع التناسل بسبب العزوف عن الزواج بالنساء؛ انشغالا بإتيان الرجال؛ لذا عُطفت على (لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ) التي هي بدل اشتمال من جملة (لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ).

والمجاز فهي مجاز مرسل؛ حملًا على أن معناها قطع الطريق بالاعتداء على السيارة بالسرقة أو الترويع أو القتل[63].

- قوله: (وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ)؛ أي: ما كفاكم قبح فعلكم حتى تضمون إليه قبح الإظهار[64].

- ثم ختم الآية بتأكيد ابتدائهم لفعل الفاحشة بنفي أن يكون أحد من العالمين قد سبقهم؛ لذا جاء نفي الجملة الفعلية بـ(ما) (ماسبقكم)؛ ليؤكد سبقهم وابتداعهم لها.

ثم جاء نفي الفعل بـ(من) الداخلة على نكرة (من أحد) لتأكيد النفي وتعميمه.

والجملة مستأنفة، مسوقة لتأكيد النكير عليهم، ولشدة توبيخهم وتقريعهم. وجاء على الترتيب: أولا الإنكار ثم التقريع. وفي ذلك حسن بيان وترتيب الكلام بعضه على بعض[65].

ثم أخذ يفصل في تلك الأفعال؛ تقريرًا لفعلهم وتشنيعًا عليهم.

ثامنًا: اختلاف النظم في الأمر بمغادرة القرية.

في سورة هود كان الأمر له بالتحرك ليلًا، ومغادرة القرية ومعه أهله، ثم النهي عن الالتفات إلا امرأته، وبيان علة هذا الاستثناء لمرأته، ثم بيان علة الاستعجال في الخروج من القرية، وهو قُرب موعد العقوبة، وهو الصبح. وهذا غير مذكور في العنكبوت، وإنما المذكور فيها هو زيادة طمأنة للوط -عليه السلام- (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ). وقد جاء هذا المشهد موجزًا بإشارة مجملة دون تفصيل وتوضيح لطريقة النجاة، وذلك لسبق ذكر الطريقة في سياق آيات سورة هود. هذه الطمأنة جاءت مؤكدة بإنّ وبالجملة الاسمية؛ للدلالة على ثبات نجاته وأهله المؤمنين. وفي ذلك مبالغة وزيادة طمأنة.

عاشرًا: اختلاف النظم في مكان قوم لوطعليه السلام.

في سورة هود لم يُذكر مكان قومه (القرية) وإنما أشير إليه بالإضمار نيابة عن الإظهار (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا) ولم يسبق الإحالة إليها في هذه السورة، فالضمائر هنا وردت دون أن تعود على متقدم، وفي ذلك مبالغة في تحقيرها، وأنها ليست بشيء أمام أمر الله.

أما في العنكبوت فقد أشير فيها إلى نوع المكان (القرية) بالإضافة إلى أهلها، وقد أشار السياق إلى ذلك في المستوى الأول، قصة إبراهيم-عليه السلام- ثم تكررت الإشارة إليه في المستوى الثاني في قصة لوط -عليه السلام-. وقد أشير إليه في المستويين عن طريق اسم الإشارة القريب. وبهذه الإشارة دليل على أنها كانت قريبة من محل إبراهيم-عليه السلام-. وهذا يؤكد أنه لما كان المراد في مدائن لوط إهلاك القرى صرح في الموضعين بذكر القرية التي يحل بها الهلاك، كأنها اكتسبت الظلم معهم، واستحقت الهلاك معهم؛ إذ للبقاع تأثير في الطباع[66].

الحادي عشر: اختلاف النظم في وصف امرأة لوط عليه السلام.

في سورة هود لم يشر السياق إلى وصف خاص بها، وإنما تحديد مصيرها بأنها مصيبها ما أصابهم، دون تصريح لسبب ذلك، أما في العنكبوت فجاء وصفها بـ (مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) مكررة مرتين، ولم يصرح بمصيرها، فكان تكامل بين السورتين في رصد شخصية امرأة ومصيرها. وكُرر مرتين في العنكبوت لاختلاف السياق والخطاب؛ فالأول كان في خطاب إبراهيم-عليه السلام-، والثاني في خطاب لوط -عليه السلام-. وفي الإعادة لذكرها دلالة على أحقيتها بالعقوبة كقومها، فليس فيه تكرار إذن[67].

ولم تأت لفظة (الغابرين) في القرآن إلا في سياق قصة لوط -عليه السلام- وصفًا لامرأته، فهي الوحيدة التي وُصفت بهذا الوصف. وقد أتت سبع مرات: الأعراف:83، الحجر:60، الشعراء171، النمل57، وهنا في العنكبوت مرتين، الصافات 135. وسيأتي بيان معنى الغابرين وسبب العدول من التأنيث (الغابرات) إلى التذكير وغير ذلك في فقرة: (اختلاف النظم في الفاصلة).

الثاني عشر: اختلاف النظم في العقوبة. وفيه عدد من الاختلافات:

- في سورة هود فيه تفصيل لعقوبتهم، فقد بدأ الخطاب كأنه استئناف جديد، والمخاطب ليس لوطًا -عليه السلام- وإنما خطاب حكاية مصير ما حل بهؤلاء؛ فقد انتقل الخطاب إلى مشهد العقوبة بالفاء: (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا) التي تدل على سرعة الأخذ عند حضورهم؛ إذ الفاء للتعقيب والترتيب، التي تشير إلى مفاجأة الحدث؛ أي: فلما خرج منها لوط -عليه السلام- بأهله جاءهم أمرنا[68]. و"لمّا" أداة الشرط، و(جعلنا) جواب الشرط للحدث المفاجئ الذي أصاب قومه -عليه السلام-

- أُسند المجيء إلى الأمر على المجاز: (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا) وفيه تعظيم لهذا الأمر؛ لأنه أُسند على عظيم وهو جل جلاله، بضمير العظمة (ما) للتفخيم وللتهويل لهذا الأمر[69]. ويكون المراد من الأمر العذاب. وعلى هذا التقدير يحتاج إلى الإضمار؛ والمعنى: ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليها سافلها[70].

- جاء تفصيل العقوبة بقوله: (جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا). وقد عبر بالماضي لمضي الفعل وتحققه، وبإسناد (نا) التعظيم لزيادة القدرة على التحقق، وأنه خاص بهم من لدنه جل جلاله، فهو إسناد مجازي، فالأمر كان بأمره وإرادته. وفي هذه العقوبة طباق بين العالي والسافل؛ والمعنى: قلبناها على تلك الهيئة، وهو جعل العالي سافلاً، وبالعكس في المعنى، ولم يعكس لفظًا؛ تهويلاً للأمر وتفظيعاً للخطب[71]. وفيه معنى الاحتقار لهم. ثم أتبعهم بعقوبة أخرى وهي: (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ) وقد وُصفت هذه الحجارة بثلاث صفات: حجارة من سجيل، وهو حجر وطين مختلط[72]. ونُكّر لتهويل شأنه، وتفخيم تلك الحجارة في العذاب[73]. منضود؛ أي: متتابع في الإنزال دون انقطاع، موضوع بعضه فوق بعض، ونُكّر للتهويل[74].

مسومة: معلمة بعلامات وأمارات عند الله لا يعلمها إلا هو، وأنها ليست من حجارة الأرض[75]؛ لذا أتت نكرة التي تفيد التخصيص، ثم أضافها لنفسه لأجل الاختصاص (مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ).

كما أن فيها أسلوب الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب (ربك) لتصوير الحال وتجسيده، وأن المخاطب يجب أن يكون وعيه حاضرًا وقلبه شاهدًا، وهو النبي -صلى الله عليه وسلم- ولمن تصح مخاطبته.

–أما في العنكبوت فقال: (إِنَّا مُنَجُّوكَ)؛ إذ السياق متتم لخطاب الملائكة للوط –الطَّيْلا– ضمن سياق الطمأنة وإذهاب الخوف والحزن عنه، الذي جاء تأكيده بإنّ، فهو خطاب عطف بيان وكمال اتصال، واستئناف بياني مسوق لبيان ما أشير إليه بوعد التنجية. وتعبير الخطاب بالجملة الاسمية (منزلون) زيادة في التأكيد؛ أي: أن عذابهم ثابت ومستقر في ديارهم، التي هي القرية وأهلها. وأتى بحرف الاستعلاء (على) ليدل على تمكن العذاب منهم، وأنه محيط بهم. ثم أشار بالقريب للقرية (هذه) للقرب المكاني والمعنوي؛ أما المكاني فهو أثناء الخطاب؛ أي: أن العذاب قريب منهم ليس ببعيد. وأما المعنوي لبيان قوة تمكن الملائكة وسرعة القيام بما أرسلوا من أجله وهو العذاب. والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه[76].ونُكّره (رجزًا) ليشمل أنواع العذاب الذي تعدد عليهم من السماء، كما أن فيه إشارة إلى أنه من عند الله، وأن الذي أمره به هو سبحانه. وهذا التنوع للعذاب استجابة لنداء لوط –الطَّيْلا– بطلبه النصرة على قومه. وكل ذلك طمأنة للوط –الطَّيْلا– وبيان مكانته عند ربه بأنه استجاب لدعائه ولندائه بالنصرة. ثم عللت الملائكة سبب هذا الرجز المتنوع: (بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ)؛ إذ الباء للسببية، وهذه العلة ليست خافية على المخاطب لوط –الطَّيْلا– لكنه تقرير وتأكيد على استحقاقهم لهذا العذاب؛ لذا جاء الخطاب بالجملة الفعلية (يفسقون) الكاشفة عن استمرارهم وتجدد ممارستهم لها، وعدم قبول دعوة نبيهم لوط الطَّيْلا

الثالث عشر: اختلاف النظم في نهاية القصة:

في سورة هود خُتمت القصة بتحذير مباشر: (وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيد) الواو للاستئناف، وما نافية تعمل عمل ليس، جاءت لتأكيد نفي بُعد القرى عن الظالمين.

وللرازي والألوسي رأيان في عود الضمير (هي):

الرأي الأول، أنه يعود إلى أداة العذاب وهي الحجارة؛ أي: يرميهم بها، والمقصود كفار قريش.

الرأي الثاني، أنه يعود إلى للقرى؛ أي: وما تلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة ببعيد من كفار مكة، وذلك لأن القرى كانت في الشام، وهي قريب من مكة. [77]. وكلا الرأيين يحتملها عود الضمير، وإن كان الرأي الأول أكثر تهديدًا وتخويفًا، ويتسق مع الغاية من التفصيل في تلك النهاية المفزعة لقوم لوطالطَّيْلا.

و(من) تفسيرية جاءت للاختصاص، وعبّر باسم الفاعل(الظالمين) ليدل على ثبوت ظلمهم وعدم توبتهم؛ لذا استحقوا العذاب، وهم كفار قريش. وقيل: المراد بالظالمين قوم لوط –الطَّيْلا–؛ والمعنى: لم تكن الحجارة

لتخطئهم[78]. والسياق يستوعب كل هؤلاء؛ فليس مقتصرًا على كفار قريش أو قوم لوط –عليه السلام– بل يدخل فيه كل من ظلم وأصر على الظلم، فتكون (ال) في (الظالمين) هنا لاستغراق الجنس[79].

ودخلت الباء على (ببعيد) لتأكيد النفي الذي جاء نكرة في سياق العموم.

أما في العنكبوت فقد جاءت خاتمة القصة فيها إشارة لأخذ العبرة، ونداء لأهل العقول الحكيمة والفطر السليمة: (وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ) لأن غرض السورة هو تصوير سنة الابتلاء خصوصًا للأنبياء؛ لذا كان تركيز السياق على الابتلاء وليس على نتيجته مع كل نبي.

وجاء بالواو عاطفةً؛ لتأمّل السبب والنتيجة، وأتبعها حرف التحقيق، وأسند هذا الإبقاء لذاته جل جلاله من خلال (نا) التعظيم؛ أي: بما لنا من العظمة. والضمير (مِنْهَا) يعود إلى القرية عند أكثر المفسرين[80]. وهو الأقرب للسياق؛ إذ تكرر ذكر القرية في هذه القصة في هذه السورة، كما أنها عُطف عليها بالواو (ولقد تركنا منها) فالواو عاطفة لتأمّل السبب والنتيجة فهي أقرب مذكور أيضًا. وقد أشار بالإضمار لا بالإظهار إلى مكان العبرة ومستقرها الحسي(منها) المبتدأة بمن الابتدائية؛ احتقرًا لها وتقبيحا لشأنها[81]؛ أي: تركنا آية صادرة من آثارها ومعرّفة خبرها[82].

الرابع عشر: الاختلاف في الفاصلة.

يقول الزركشي محددًا موقع الفاصلة، وشيئًا من فوائدها وسبب تسميتها بذلك "تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها. وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلام، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها" [83]. وهذا الذي عليه المستقر في تعريفها.

وتنقسم الفاصلة القرآنية إلى ثلاثة أقسام: اثنان لهما علاقة باللفظ والنغم، والثالث له صلة بالمعنى. فالقسم الأول من ناحية الوزن، والثاني من ناحية التقارب أو التماثل في مخارج الحروف[84]، والثالث من ناحية ارتباطها بما قبلها من خلال المعنى؛ وهو أربعة أنواع: التمكين والترشيح والإيغال والتصدير [85].

وسنمزج بين اللفظ والمعنى للفاصلة في هذا الاختلاف؛ إذ إن الوقوف على الجانب الصوتي والجرس الأدائي للفاصلة دون التأمل في الدلالة المعنوية للفاصلة في ذلك قلة تمعن في فواصل الآي. قال الرماني "الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها... وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إظهار المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها "[86].

أ- الفاصلة في سورة هود.

من جهة الوزن: فقد أتت الفاصلة على وزنين:

-على وزن فعيل: عصيب، رشيد، شديد، قريب، بعيد.

-على ووزن مفعول: مردود، منضود.

والتماثل في مخارج الحروف؛ وهو اتفاق حروف الروي. وفي هذه القصة في هذه السورة أتى الروي في الحرفين الأخيرين: عصيب، قريب. ورشيد، شديد بعيد، ومردود، منضود.

أما التقارب في مخارج الحروف: ففيها فاصلة (مردود) تليها فاصلة (عصيب) وفاصلة (رشيد). ثم ينتقل السياق إلى فاصلة (شديد) تليها فاصلة (قريب) وفاصلة (منضود) وفاصلة (بعيد).

في هذه السورة جاءت آخر حروف الفاصلة فيها (الواو والطاء) مرة واحدة، و(الواو والدال) مرتين، و(الياء والدال) ست مرات. و(الياء والباء) ثلاث مرات، فروي الفواصل كلها حروف قلقلة مسبوقة بحرفي مد، هما: (الياء والواو)، ثم الوقف بالسكون على حرف الروي فتظهر القلقة، التي هي لغة الحركة أوالاضطراب. وهي تمتلك صفة القلقلة الكبرى؛ لأنها من الحروف الساكنة التي يوقف عليها سكونًا عارضًا. وهذا يمنح الفاصلة وحدة الجرس في حرف الروي وما قبله؛ فينشأ إيقاع صوتي يشد الأذن إلى الإصغاء والتأمل فيها. وهذا السكون ينشأ في الوقف، أما عند الوصل أو مشاهدة الحرف فإن الحركة الإعرابية للفاصلة تختلف من المرفوع إلى المجرور، فإن مبنى الفواصل يكون على الوقف؛ ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس [87].

ولتحفيز الأذن على الاستماع وتجديد الإصغاء جاء التنوع في الفاصلة، وعدم الاستمرار على نغم صوتي واحد؛ فبعد توالي ثلاث آيات على فاصلة واحدة (ياء وباء) ينقطع هذا التوالي بفاصلة جديدة (واو ودال) (غير مردود) ثم تعود الفاصلة الأولى (الياء والباء) في آية واحدة (عصيب) لتقطع هذا النسق، ثم في أربع آيات تنشأ فاصلة جديدة (الياء والدال)، ثم ينقطع هذا التوالي تارة أخرى بفاصلة القطع الأولى، وهي الواو والدال (سجيل منضود) ثم تعود فاصلة الياء والدال (ببعيد). وهذا التنوع في النغم الصوتي يأتي متناسقًا وتمام الائتلاف وجمال النظم، وفيه كسر لنمطية الإيقاع الصوتي؛ مما يمنح القارئ تجديد الإصغاء واليقظة لهذا التغير في الفاصلة. ويجمع هذا التنوع حرف المد (حرف اللين، الياء) الذي هو قبل حرف الروي، الذي يتميز بإمكانية مده أربع حركات إلى ست، ثم في آخره حرف الدال أو الباء الذي يسوق المتلقي إلى التأمل في معنى ذلك، وهو عدم الاستقرار، وأن السياق يوحي بالاضطراب والترقب بأن شيئًا سيحدث عما قريب. ففي خطاب لوط -عليه السلام- لقومه: (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيب) بمد عصيب أربع حركات أو ست حركات ثم انطباق الشفتين على الحرف

وتلاشيه بسبب الضيق والانزعاج من انحباس الصوت في المخرج، ثم تأتي القلقلة فتحييه من جديد، من ذلك كله نستشعر نغمة القلق وشدة الضيق والانزعاج من الفاجعة والألم التي يشعر به لوط -عليه السلام- لإحاطة الشر به، وإنما قيل للشديد عصيب؛ لأنه يعصب الإنسان بالشر[88]؛ أي: يحيط به كإحاطة العصابة بالرأس. وهكذا يتعاضد اللفظ والمعنى في تعميق الدلالة المتوخاه من هذه الفاصلة. ثم تأتي الآية التي بعدها بفاصلة (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُل رَّشِيد) فالفاصلة مكملة لبناء شخصية قوم لوط -عليه السلام- وهي صفة معنوية؛ إذ أنكر أشد الإنكار حالهم في أنهم لا يكون منهم رشيد؛ حثاً على الإقلاع عن الغي ولزوم سبيل الرشد، ومنه نستشعر الضيق الممزوج بالتهكم الخفي من لوط -عليه السلام- لقومه. مع ما أضافته هذه الفاصلة من حسن الوقع والنغم المتفرد بمجانستها للفواصل التي قبلها.

وفي قولهم (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) يُفهم منه أنهم حملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثاً منهم. واضطراب حرف الدال بالقلقلة وحركته من جرائها وعدم استقراره تأتي متعاضدة ومتساوقة مع طريقة حضورهم لبيت لوط -عليه السلام- (يهرعون إليه) فتشير القلقلة إلى أن رعدتهم لم تسقر حال مخاطبتهم للوط -عليه السلام- وأن لهفتهم بادية على محياهم.

وفي سياق ما سيؤول إليه مصير القوم جاءت الفاصلة (بقريب) فجاءت الباء المسبوقة بالمد لإطالة الصوت بالمد كأنه مد للصوت في التشفي والترقب لمصير هؤلاء المفسدين، ثم انحباس الصوت بحرف الباء وانطباق الشفتين عليه يوحي بقرب عذاب فيه انطباق ثم انقلاب واضطراب، وذلك بولادة الحرف بالقلقلة.

ولما وقع العذاب وتنوع كان المعنى يستدعي تنوعًا في الفاصلة فتغيرت إلى حرف المد (الواو) ثم حرف الروي القلقة الدال، (مَّنْضُودٍ) وهو وصف لسجيل. والنَّضْدُ: جَعْلُ الشيءِ بعضَه فوقَ بعضٍ. وهنا؛ أي: يُرسل بعضُه إثر بعض كقِطار الأمطار. ولم يقل (منضودة) إذ الوصف لسجيل وليس للحجارة[89]. فكان التذكير الأنسب للفاصلة، وبه حافظت على التوازن الصوتي باقترانها مع ما قبلها من فواصل.

ثم تعود الفاصلة إلى الياء والدال (ببعيد) ولم تأت مراعاة للفاصلة فحسب، وإنما لتأكيد قرب هذه العقوبة من الظالمين؛ لأن نفي مضاد الشيء فيه توكيد له وإثبات، وفيها تهدئة لنفس لوط -عليه السلام-؛ إذ وقع في نفسه طلب التعجيل بعذابهم، فقالوا ذلك في استئناف الخطاب لتطمينه. وقال (ببعيد) ولم يقل (ببعيدة)، والأقرب في تأويل ذلك أن تكون صفة لمذكر محذوف؛ أي: بمكان بعيد[90].

وليس هذا العدول أو الإحلال اللفظي من التأنيث إلى التذكير (ببعيد) من أجل اتساق الفاصلة فحسب وإنما لها مدلولها المعنوي؛ إذ جاز من الناحية النفسية أن من غاية اختيار الفاصلة لئلا يتوهم الاحتياج في وصول الحجارة إلى المرميّ بها إلى زمن طويل[91].

وكذلك فإن في مد الياء بالصوت، ثم قلقلة حرف الدال واضطرابه على الشفتين يشعر بخطورة هذا الفعل القبيح، وأن الذي يرتكبها ستتغير حالهم من الثبات إلى الزوال.

وجاءت هذه الفاصلة لتقرير ما سبقها بأن ذلك كان من تدبير (ربك) وأنه جل جلاله قريب الأخذ للظالمين من أمثالهم. ولذا حسُن الإتيان بهذه الفاصلة لزيادة في النغم الإيقاعي في نهاية الآية واتساقها مع فاصلة ما قبلها كذلك.

وبعض الفواصل لآي هذه القصة في هذه السورة جاءت للتوشيح(92)، وسمي به لكون نفس الكلام يدل على آخره؛ نُزّل المعنى منزلة الوشاح، ونزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح؛ لذا قيل إن الفاصلة تُعلم قبل ذكرها(93).

ومثل ذلك عتاب لوط–عليه السلام– لقومه: (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُل) فمن كان يلقي السمع أو يقرأ بتأمل يدرك أن نهاية الآية ستأتي (رشيد).

ومن ذلك قوله (وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيب) فالذي كان متيقظًا إلى أن مِن مقاطع الفواصل التي قبل هذه الآية تنتهي بـ(باء)، قبلها حرف لين (عجيب، منيب) وسمع أو قرأ الذي سبقها من وصف لحال لوط–عليه السلام– علم أن الفاصلة ستأتي (عصيب)؛ لأن مَن هذه حاله مع الكرب لا محالة أنه واصف يومه بأنه عصيب. ومن ذلك بعد أن أكدت الملائكة موعد هلاكهم: (إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ) كان الاستعجال من لوط عليه السلام بعذابهم(94) فأخبرته الملائكة باستفهام تأكيدي: (أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ) فعندها يترصد القارئ أو المستمع للفاصلة فيتصورها (بقريب) فإذا جاءت كذلك امتلأ قلبه ووجدانه تأثرًا لعاقبة هؤلاء القوم، وسعادةً لتوافق ترصده للفاصلة؛ إذ جاءت كما تصوّر. فجاءت الفاصلة مناسبة أتم المناسبة، ومتوقعة الحضور، غير نافرة ولا متجافية عما قبلها.

ب– الفاصلة في سورة العنكبوت:

أما سورة العنكبوت فقد جاءت الفاصلة ذات روي واحد، وهو النون يسبقها حرف مد (الياء)، وفي آيتين (الواو). وحرف النون يخرج من طرف اللسان، ولا يكمل صوته إلا بالغنة، والغنة صفة قوة.

وقد جاءت الفاصلة بوزن متباين، وفي حالة متماثلة ومتقاربة. فمن ناحية الوزن: (فاعلين) العالمين، الصادقين، الظالمين، الغابرين. (اسم فاعل): المفسدين، يفعلون. يفسقون، يعقلون.

أما من ناحية التقارب فهي على حرفين: تقارب بين العالمين، الصادقين، الظالمين، الغابرين، المفسدين. وبين يفسقون، ويعقلون؛ إذ في فاصلة هذه الآيات تقارب في المخرج؛ مخرج حرف المد (الياء والواو) وهو مخرج من الشفتين دون انطباق.

ويغلب على فواصل القرآن الوقوف عليها بحروف المد واللين، ثم ختمها بالنون؛ لما في ذلك من غنة. وكما يقول الزركشي: إن الحكمة من ذلك التمكن من التطريب بذلك(95).

وهذه الفاصلة – للقصة في سورة العنكبوت– لها قيمتها في إتمام المعنى وكمال بناء الآية؛ فقد جاءت في

أغلب الفواصل للإيغال [96]. وبين الزركشي سبب تسميته بذلك "لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد. يقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل"[97]. فالخطاب القرآني يوغل في المعنى حتى منتهاه ليتجلى للمتلقي في أكمل بيان وأوضح دلالة. والإيغال عند ابن أبي الأصبع نوعان: الاحتياط والتخيير[98]. والذي يظهر أن الاحتياط هو المتوافر في بعض فواصل آيات هذه القصة في هذه السورة.

ومثال ذلك، نهاية خطاب لوط –الطَّيْكِلاِ– لقومه في مقام الإنكار عليهم: (مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَد)؛ إذ المعنى اكتمل قبل الفاصلة وانعقد الفهم، ولكن لابتداعهم هذه الفاحشة زاد في تأكيد هذا السبق والتفرد فقال: (مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ)؛ إذ اللام في (العالمين) للجنس التي تفيد الاستغراق، والجمع يدل على العموم. فنشأ الاحتياط من المبالغة في تأكيد سبقهم لجميع الأجناس، ففيه تشديد في الإنكار؛ لأنهم المبتدعون لسن هذه الخصلة السيئة للناس[99]. وزيادة على هذا المعنى الذي أفادته الفاصلة فإنها قد حافظت على التوازن الصوتي باتساقها مع ما قبلها من فواصل.

ومثل هذه العلاقة البيانية تحضر –أيضًا– في الآية التي بعدها: (إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) فقد تكوّن الإيغال في نهايتها؛ إذ كان جوابهم إعلانًا منهم لكذبه، إذ عُلم عدم استجابتهم من قولهم: (ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ).

وجاءت الفاصلة بعد عملية العدول اللفظي أو الالتفات، وهو إحلال الجمع مكان المفرد؛ إذ الأصل (إن كنت صادقًا)، وفي هذا الإحلال بلاغة سامقة تستثير العقل للتأمل في هذا الانزياح اللفظي، خصوصًا عندما يمد القارئ الصوت بمد حرف اللين (الياء) مستحضرًا هذا العدول اللفظي ودلالته.

ومن الدلالات التي يمكن تأملها أن هذا العدول جاء ليقرر شدة عنادهم وقصدهم إلهاب لوط –الطَّيْكِلاِ– وتهييجه على تقديم ما لديه، أو ما هو قادر على فعله، وعذرًا للوط –الطَّيْكِلاِ– عندما طلب النصرة ووصفهم بالمفسدين. وبذلك يتضح أن هذه الفاصلة –التي أتت من خلال هذا العدول– جلبت عددًا من المعاني، ولم تأت من أجل الاتساق الصوتي مع نظائرها من الفواصل التي سبقتها فحسب.

ولما تأكد للوط –الطَّيْكِلاِ– بأن قومه لن يتوقفوا عن قول القبائح وفعلها لجأ إلى الله طلبًا النصرة فكانت الفاصلة تصفهم بـ(ٱلۡمُفۡسِدِينَ) فهذه الفاصلة سبكها النظم بعد أن اكتمل المعنى قبلها وانعقد الفهم بقوله: (رَبِّ ٱنصُرۡنِي) فدعاؤه عليهم بالهلاك كافٍ لتمام المعنى.

كما أن فيها وضع المظهر مكان المضمر؛ إذ الأصل أن يقول (رب انصرني عليهم) فعدل إلى الإظهار بالصفة. فاختار الخطاب (المفسدين) للإيغال في المعنى؛ لإظهار عدد من المعاني، تأوّلها بعض المفسرين: فقال الزمخشري: ليشتد غضب الله عليهم[100]. ويرى الرازي أن ذلك حتى ينجز الله وعده، فإنه لا يحب المفسدين[101]. وذكر أبو السعود أن ذلك مبالغة واستعجالا لإنزال العذاب بهم[102].

وجميع هذه الأقوال يكمل بعضها بعضًا، فليس بينما تعارض فمعنى (المفسدين) يحتمل هذه الأقوال.

ولم يقل النظم أيضا (الفاسدين) لتتعاضد هذه الفاصلة مع ما قبلها في تأكد شناعة فعلهم، وأنهم مستحقون للعقوبة عاجلًا، فقال (المفسدين) أي: ليسوا مفسدين لأنفسهم فحسب بفعل هذه الفاحشة –إضافة إلى المنكرات الأخرى؛ من قطع السبيل وغيرها– وإنما تعداه إلى غيرهم.

ونتوقف عند فاصلة (إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) فالغابر :الماكث بعد مضي ما هو معه(103). وهنا في الآية بمعنى: فيمن طالت أعمارهم، وقيل: فيمن بقي ولم يسر مع لوطالطَّيْلاً. وقيل: فيمن بقي بعد في العذاب. والمعنيان الأخيران قال بهما الرازي؛ فقال (من الغابرين)؛ أي: الباقين في الأرض المدمرة والجماعة الفجرة، ليعم وجهها معهم الغبرة (104). وبعضهم فسرها بمعنى (من الهالكين) فهو تفسير باللازم(105)؛ إذ ليس معنى الغابر هو الهالك، ولكن عندما كان السياق يقود إلى معنى الهالك فُسّر به.

والأصل أن يقول (من الغابرات) فعدل من التأنيث إلى التذكير، وفي ذلك "إشارة إلى أنه أصابها مثل عذاب الرجال والنساء لم تنقص عنهم" (106). أما أبو السعود(107) والزركشي(108) فقالا إن ذلك من باب التغليب؛ تغليب ذكر المذكر على المؤنث في اللغة. وهذا رأي يغلّب العلة اللفظية دون النظر في العلة المعنوية. والأقرب –والله أعلم– ما ذكره الرازي في سبب دخولها في وصف الغابرين؛ إذ قال" الدال على الشر له نصيب كفاعل الشر، كما أن الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط –الطَّيْلاً– حتى كانوا يقصدونهم، فبالدلالة صارت واحدة منهم"(109).

وجاءت الفاصلة بعد تمهيد الاستثناء (إلا امرأتك/ إلا امرأته) لإلحاق امرأته بالغابرين، فالفاصلة متعلقة بما قبلها علاقة تمكين (110) وتمهيد، مستقرة في مكانها غير قلقة، ولو طُرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم. وعلى ذلك تأتي (كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ) تفسيرًا وتوكيدًا لما تضمَّنه الاستثناء من كونها لم ينجها الله تعالى؛ فبقولهم (إلا امرأتك/ إلا امرأته) اكتُفى به في أنها لم تنجُ، ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة أخرى (111).

ويُلحظ أن الفاصلة للقصة في هذه السورة –العنكبوت– فيها أسماء: (غابرين، مفسدين)، وكان ذلك في وصف لوطالطَّيْلاً لقومه، وجاء الوصف لهم بالجملة الاسمية؛ ليدل على استقرار هذه الصفات، فيهم وقلة الرجاء من رجوعهم عن غيهم.

وفيها أفعال: (يفسقون، يعقلون). وكان ذلك في وصف الملائكة لهم وقت العذاب، وما ينتج عنها من عبرة وآية. وقد أتت بالجملة الفعلية (يفسقون) بالفعل المضارع؛ ليدل على تجدد حدوث هذه الآية على من يتلبس بمثل هذه الفاحشة إلى يوم القيامة، وستظل طريقة هلاكهم آية وسمة لأهل العقول.

ولاتساق النغم مع المعنى لم يعدل الخطاب الرباني من الاسمية إلى الفعلية فلم يقل (بفسقهم). فحافظت الفاصلة على التجانس الصوتي باتساقها مع ما قبلها من فواصل.

وأتت فاصلة الآية الأخيرة: (لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ) متصلة بما قبلها متعلقة به علاقة تمكين أيضًا؛ ذلك أنه لما تقدم ذكر العذاب، وأن الله ترك القرية وآثارها آية كان ذلك تمهيدًا لبيان من سينتفع بهذه الآية الظاهرة الخالدة، وهم أهل العقل الذي يصح به الانتفاع من الآية والاتعاظ بها؛ إذ إن في إهلاكهم على كيفيات متنوعة وفي بقاء آثار هذا العذاب المتنوع علامة حاضرة ظاهرة لمن تفكر في أمرهم، وتدبر واتعظ، فجاءت الفاصلة متعلقة بما قبلها كمال التعلق، ومهدت لتمكين المعنى حتى وقر في القلوب المبصرة؛ لأن غيرها لن يقوم مقامها، ولن يؤدي وظيفتها اللفظية والمعنوية.

ولذا يقول الزمخشري "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعنى على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه" (112).

وبعد، فإن في مظاهر هذا الاختلاف في النظم في القصة بين السورتين ينفي أنْ يكون في قصة لوط في كل السور–التي أتت متداخلة معها– أن يكون فيها تكرار خالص، بل ثمّة عناصر بلاغية في النظم تُبين عن خصوصية كل قصة، تَضْمر في قصة وتبرز في القصّة الأخرى. وعلى هذا فإنّ قضية التكرار ليست واردة، وإنّما هو تكامل والتئام لا يخلُّ بنظام الخطاب ولا بمتطلبات الجمالية، في تناسق بديع بين القصّة والمقام الذي سيقت له. فالمقاصد التي يوحي بها السياق في كلّ من السورتين هي التي توجّه أسلوب العرض، وتسلط الضوء على العنصر المراد إبرازه، فهو حضور متجدّد ومتنوع يحقق كثيرًا من الغايات الخطابية والبنائية، ومن أهم تلك الغايات تقرير الحقائق؛ إذ هو أهم فائدة للتكرار(113).

الخاتمة:

لقد افترت هذه الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها:

–أبانت الدراسة عن تعاضد السياق والنظم في رصد مواطن إعجاز هذه القصة العظيمة، وبراعة اختلاف النّظم فيها، التي جسدت عظيم العِبَر والعظات فيها.

–أثبتت الدراسة أن تنوع العرض واختلاف النظم والأسلوب للقصة في السورتين تابع لاختلاف السياق وتنوع مقاصده في السورتين، فالمقاصد التي يوحي بها السياق في كل من السورتين هي التي توجه طريقة العرض ونوعية الأسلوب.

– كشفت الدراسة عن قوة التناسق الداخلي بين أجزاء القصة في السورتين من خلال عدد من أدوات الربط المعنوية، وعدد من الشخصيات القصصية.

–أبانت الدراسة أن الفاصلة القرآنية لقصة لوطعليه السلام متنوعة في اللفظ والمعنى، وأن الاختلاف في المعنى في سورة هود كان منحصرًا في التوشيح، وفي سورة العنكبوت في الإيغال والتمكين، وأنه ما كان لجمالية الفاصلة أن تتجلى لولا تعاضد لفظها مع معناها.

-كشفت الدراسة أن ذاك التنوع في العرض والاختلاف في النظم ينفي أنْ يكون في قصة لوط في السورتين أو في كل السور-التي أتت متداخلة معها- أن يكون فيها تكرار خالص، بل ثمّة عناصر بلاغية تُبين عن خصوصية كل قصة، فهو تكامل والتئام لا يخلُّ بالسياق ولا بالنظم، في تناسق بديع بين القصة والمقام الذي سيقت له.

المراجع:

- القرآن الكريم.

- السيوطي، جلال الدين "الإتقان في علوم القرآن".تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط1، بيروت، دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، 1429هـ- 2008).

- العمادي، أبو السعود محمد. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم". (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي).

- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر." أساس البلاغة". تحقيق: محمد باسل. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419، 1998م).

- الكرماني، محمود بن حمزة. "أسرار التكرار في القرآن". تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة: دار الفضيلة، **(د.ت)**.

- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع". شرح وتحقيق: أ.د محمد عبد المنعم خفاجي. (ط1، الرياض: مكتبة المعارف، 1426هـ / 2006م).

- ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن محمد المصري "بديع القرآن". تحقيق: حفني محمد شرف. (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر. (د.ت).

- الزركشي، بدر الدين "البرهان في علوم القرآن". تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط1، دار التراث، 1376 هـ - 1957 م).

- أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط" .تحقيق: صدقي محمد جميل. (ط1، بيروت: دار الفكر، 1420هـ).

- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي. "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: د.عبد الله الخالدي، (ط1،بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ،1416م).

- أمين، بكري شيخ. "التعبير الفني في القرآن". (ط4، بيروت: دار الشروق، 1980م).

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "التحرير والتنوير". (ط1، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1420هـ- 2000م).

- القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ- 1964م).

- الإسكافي، عبد الله بن محمد الأنصاري. "درة التنزيل وغرة التأويل". دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين. (ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1422هـ).

- الآلوسي، محمود أبو الفضل. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبد الباري عطية. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

- نقرة، التهامي. "سيكولوجية القصة في القرآن". (ط1، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1974م).

- عباس، فضل. "قصص القرآن". (ط3، عمّان: دار النفائس للنشر والتوزيع، 1430-2010م).

- الزمخشري، محمد بن عمر. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". (ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ).

- ابن منظور، محمّد بن مكرم. "لسان العرب". (ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ).

- السامرائي، فاضل. "لمسات بيانية في نصوص التنزيل". (ط3، عمّان: دار عمار للنشر، 1423هـ-2003م).

- ابن الأثير، ضياء الدين. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تقديم وتعليق: د.أحمد الحوفي، ود.بدوي طبانة، (ط1، القاهرة: دار نهضة مصر).

- القاسمي، جمال الدين. "محاسن التأويل". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ).

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي. "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ).

- الأصفهاني، الحسن بن محمد. "مفردات ألفاظ القرآن". تحقيق: صفوان عدنان داوودي. (ط4، دمشق- بيروت: دار القلم- الدار الشامية، 1430هـ-2009م).

- الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب". (ط1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1401هـ-1981م).

- الشاطبي، إبراهيم. "الموافقات". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط1، القاهرة: دار ابن عفان، 1417هـ - 1808م).

- البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (ط1، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ-1984م).

- الرماني، علي بن عيسى. "النكت في إعجاز القرآن". تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. (ط3، القاهرة: دار المعارف، 1976م).
- الماوردي، علي بن محمد البصري. "النكت والعيون". تحقيق: السيد بن عبد الرحيم. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م).

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

- محمود، المثنى عبدالفتاح."السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي". (الأردن: جامعة اليرموك،1426-2005م).
- الشهراني، سعد بن محمد. "السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة" . (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1427-2006 م).

(1) آل عمران: 62.
(2) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة: 167؛ قصص القرآن الكريم، فضل عباس: 45-47.
(3) انظر: قصص القرآن الكريم، فضل عباس: 47-49؛ التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ص 223.
(4) سورة هود: 7 . الحجر: 59. سورة العنكبوت:28. سورة الذاريات: 24.
(5) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، باب (سجل) : 398.
(6) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سَرَدَ).
(7) أساس البلاغة، الزمخشري: 484/1
(8) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد الشهراني، (رسالة دكتوراه) : 22
(9) انظر: البرهان، الزركشي:317/1
(10) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 17/1.
(11) انظر: الإتقان: 33.
(12) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 184/17
(13) انظر: الإتقان: 33.
(14) انظر: الكشاف، الزمخشري: 415/2.
(15) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية:57/5.
(16) انظر: روح المعاني، الآلوسي: 360/10
(17) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 339/9.
(18) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: 580/5
(19) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 339/11.

(20) أشار إلى ذلك كثير من المفسرين. انظر مثلا: الزمخشري، الكشاف: 451/3؛ القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن 70/9.

(21) سورة هود: 72. الحجر: 59. سورة العنكبوت:28. سورة الذاريات: 24.

(22) التحرير والتنوير، ابن عاشور:123/12.

(23) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: 339/11.

(24) انظر: روح المعاني، الآلوسي: 289/6.

(25) الموافقات: 226/4

(26) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي:124/2

(27) سماه القزويني (حسن التخلص) انظر: الإيضاح: 432.

(28) التحرير والتنوير، ابن عاشور:123/12.

(29) انظر: الكشاف :129/1.

(30) انظر: الكشاف:123/12.

(31) التحرير والتنوير، ابن عاشور،:126/12.

(32) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نظم).

(33) إعجاز القرآن، الباقلاني: 33.

(34) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى محمود ، (رسالة دكتوراه) :17

(35) البرهان: 112/1.

(36) انظر: بديع القرآن، ابن أبي الأصبع: 289/2.

(37) انظر: روح المعاني، الألوسي 289/6

(38) انظر: الكشاف: 412/2.

(39) انظر: المصدر السابق 412/2.

(40) انظر: روح المعاني، الآلوسي: 289/6.

(41) انظر: روح المعاني، الآلوسي: 358/10

(42) انظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني: 199

(43) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل:294

(44) انظر: مفاتيح الغيب: 65/25

(45) انظر: الكشاف:412/2.

(46) انظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي:105

(47) انظر: نظم الدرر، البقاعي: 339/9

(48) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود:230/2؛ نظم الدرر، البقاعي:339/9

(49) انظر: مفاتيح الغيب: 379/18؛ المحرر الوجيز، ابن عطية:95/3، التحرير والتنوير، ابن عاشور:125/12

(50) انظر: مفاتيح الغيب: 379/18؛ المحرر الوجيز، ابن عطية:95/3؛ روح المعاني، الألوسي: 291/6

(51) النكت والعيون، الماوردي: 489/2

(52) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور:125/12

(53) انظر: المصدر السابق:126/12

[54] انظر: الكشاف، الزمخشري: 413/2؛ المحرر الوجيز، ابن عطية:97/3، التحرير والتنوير، ابن عاشور:126/12
[55] انظر: البحر المحيط، أبو حيان: 186/6
[56] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية:97/3.
[57] انظر: البحر المحيط، أبو حيان: 187/6
[58] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية:99/3.
[59] انظر: الكشاف، الزمخشري:135/1؛ البحر المحيط، أبو حيان: 186/6؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور:126/12.
[60] انظر: نظم الدرر، البقاعي: 339/9.
[61] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 65/25
[62] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور:130/12
[63] انظر: روح المعاني، الآلوسي: 360/10.
[64] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 65/25.
[65] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: 245/20.
[66] انظر: البرهان، الزركشي:78/1
[67] انظر: روح المعاني، الآلوسي:358/10
[68] انظر: نظم الدرر، البقاعي: 341/9.
[69] انظر: روح المعاني، الآلوسي: 363/10
[70] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 380/18. هذا أحد الأقوال التي أشار إليها الرازي، وهو الأنسب للسياق؛ ولذا اكتفيت به.
[71] انظر: روح المعاني، الآلوسي:365/10
[72] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، باب (سجل) : 398.
[73] انظر: الكشاف، الزمخشري: 1/ 134
[74] انظر: المصدر السابق:134/1
[75] انظر: المصدر السابق: 136/1؛ إرشاد العقل السليم، أبو السعود: 235/2
[76] انظر: روح المعاني، الآلوسي:368/10
[77] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 380/18؛ الآلوسي، روح المعاني: 289/6.
[78] انظر: روح المعاني، الآلوسي: 289/6.
[79] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية:99/3.
[80] انظر: روح المعاني، الآلوسي:370/10
[81] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية:57/5.
[82] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: 249/20
[83] انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 54/1.
[84] انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 72/1
[85] انظر: المصدر السابق: 75/1
[86] انظر: النكت في إعجاز القرآن: 23.
[87] انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 51/1

(88) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 380/18

(89) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود: 42/7

(90) انظر: الكشاف، الزمخشري: 415/2.

(91) انظر: نظم الدرر، البقاعي: 340/9.

(92) البرهان، الزركشي: 95/1. وسماه ابن الأثير والقزويني بـ(الإرصاد). انظر: المثل السائر: 2/ 350، الإيضاح: 347.

(93) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 95/1

(94) رُوي أن لوطا –عليه السلام– عندما قالت الملائكة (إن موعدهم الصبح) قال لهم: لا تأخروهم إلى الصبح فقالوا (أليس الصبح بقريب) انظر: مفاتيح الغيب: 381/18

(95) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 68/1

(96) يعرفه العسكري بقوله: "الإيغال أن يستوفي الأديب معنى الكلام قبل أن يصل إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر، يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا وحسنًا". كتاب الصناعتين، ص380.

(97) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 71/1

(98) انظر: بديع القرآن: 67/2

(99) انظر: نظم الدرر، البقاعي: 434/14

(100) انظر: الكشاف، الزمخشري: 416/2.

(101) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 66/25

(102) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود: 45/7

(103) معاني مفردات القرآن، الأصفهاني: (غبر).

(104) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 66/25

(105) انظر: محاسن التأويل، القاسمي: 139/5.

(106) انظر: نظم الدرر، البقاعي: 342/9. وانظر: الألوسي: 360/10، وابن عاشور: 244/20 وغيرهما.

(107) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود: 45/7

(108) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 302/3

(109) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 67/25

(110) التمكين: هو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافذة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم. انظر: البرهان، الزركشي:78/1؛ الإتقان، السيوطي:101/1.

(111) انظر: البحر المحيط، أبو حيان: 70/5

(112) الكشاف، الزمخشري: 138/1.

(113) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص10.



Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

e-ISSN: 1658 – 7472 Vol. 9 Issue No.: 36 December 2023

Kingdom Saudi Arabia
Ministry of Education

Al Baha University

University Vice Presidency for Postgraduate Studies and Scientific Research

Al Baha University Journal for Humanities

Published by Al-Baha University
Periodical - Scientific - Refereed

Vision: To be a scientific journal characterized by publishing scientific research that serves the goals of comprehensive development in the Kingdom of Saudi Arabia; serving original scientific research nationally and internationally; contributing to the development of research capabilities of university members and the like inside and outside the university as well as the country.

Mission: Activating the university's role in raising the level of research performance of its employees to serve the university's goals, achieve the desired development goals, and increase constructive interaction with local, regional, and global community institutions.

e-ISSN: 1658 – 7472

PO Box: 1988
Tel: 00966 17 7274111/ 00966 17:7250341
Ext: 1314
Email: buj@bu.edu.sa
Website: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

Contents



Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed









Published by Al Baha University

e-ISSN: 1658 – 7472 Vol. 9 Issue No.: 36 December 2023

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs